منها الى حيز العمليات الجراحية

والحق يقال ان اكتشافات العالمين الفرنسويين ناجوت وسنسر هي من ابعد ما ادركتهُ فكرة العلماء الوقّادة بفضل الفحوص والاختبارات المتعددة التي أجروها في ميدان العلوم عامّةً وفنّ الجراحة خاصة منذ شُغِفت الالباب بالتوغل في اسرار الطبيعة طمعاً في ازاحة طرف النقاب الذي اسدلهُ عليها البارئ ريثما يكشفه الانسان بانتصاره المجيد على كل العقبات الحائلة دون مرامه النبيل

رسالة تدبير المنزل لارسطو

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلة (الآثار)

تمهيد

لقد طالعت في الجزء الثالث الماضي من (المشرق) الاغرّ مقالة « تدبير المنزل » لمؤلفها (برسيس) مع مقدمتها وحواشيها بلذّة لما فيها من المباحث الجديرة بالثناء على الفلاسفة القدماء في ما وضعوهُ لنا من كتب التربية وتدبير الأسرة والمنزل الخ وما عانى علماء العرب في نقلها الى لغتهم وحفظها بعد ضياع أصول كثير منها ونشرها الآن بعناية مجلّة المشرق . ولقد عُنيت بالبحث عن مثل هذه الآثار النادرة لنشرها على صفحات مجلتي (الآثار) او غيرها من المجلات الكبرى حفظاً لها من الضياع . ومما اظفرني به الحظ منذ سنوات مقالة «تدبير المنزل» لارسطو الفيلسوف اليوناني في مجموعة طبيّة طبيعية فنّية قديمة الخط نادرة الوجود اتصلت بمكتبتي مثل غيرها من المخطوطات النادرة التي حرصتُ عليها كل الحرص ولاسيما في اثناء الحرب العامّة ونكباتها فزدتها عشرات من النوادر . وقبل وصف الكتاب والرسالة استأذن ناشر المقالة المذكور صديقي العلامة صاحب المشرق بتقديم كلمة في هذا الموضوع :

كتب تدبير المنزل

لقد وقفتُ على أسماء كثير من المؤلفات المتعلّقة بتدبير المنزل وشؤون الأسرة والتربية البيتية وسياسة ارباب وعرفتُ بعضها وما بحثتُ فيه . فرأيتها ترمي الى اغراض كثيرة مثل تدبير الزوجة وتربية الاولاد وتدريب الخدام وآداب الصحبة وحسن

المعاشرة وصحة المخالقة وآداب الانسان في مأكله ومجلسه وملبسه وسفره واقامته وادارة البيت وإعداد المآكل والتمريض وما يتعلق بذلك من الآداب الرائعة ولولا ضيق المقام في هذه العجالة لعددت منها عشرات باسماء مؤلفيها ومواضيعها وما شاكل ولكنني اقتصر على الاشارة العامة منتقلاً الى وصف هذا الفنّ من مؤلفاتهم :

انّ طاش كبري زاده في كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١ » الذي ضمّنهُ كثيراً من هذه الآداب ذكر في (الدرجة الخامسة) التي تبحث في الحكمة العملية ان لها اربع شُعَب : (الاولى) في علم الاخلاق . و(الثانية) في علم تدبير المنزل . و(الثالثة) في علم السياسة . و(الرابعة) في فروع الحكمة العملية وهي علم آداب الملوك . ووظائف السلطان . وآداب الوزارة . والاحتساب . وقود العساكر والجيوش

ثم قال بعد تعريفهِ الحكمة العمليَّة ما نصُّهُ وهو يدلّ على علاقات التقسيم : « ثم ان الحكماء ذكروا علومهم العملية وبحثوا فيها عن الاعمال الصادرة عن البشر . وتلك الاعمال امّا ان تتعلق بالشخص وحده وهي (علم الاخلاق) . أو تتعلق باهل المنزل لدوام الانس والائتلاف وهي (علم تدبير المنزل) . او تتعلق باحوال اهل البلد لنظام احوال الملك والسلطنة وهي (علم السياسة) وهذه علوم ثلاثة . ولنذكر كلًّا منها في شعبة ثم نردفها بشعبة رابعة لبيان فروعها »

واليك ما ذكرهُ في الشعبة الثانية عن (علم تدبير المنزل) : « وهو علم يُعرف منهُ اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدّامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال ووجه الصواب فيها . و (موضوعهُ) احوال الاهل والاولاد والقرايب والخدّام وامثالها . و (منفعة هذا العلم) عظيمة لا تخفى على احد حتى العوامّ لان حاصلهُ انتظام احوال الانسان في منزلهِ ليتمكن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة

(١ وهو الامام عصام الدين احمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) وكتابهُ (المفتاح) من اكبر الموسوعات العربية الباحثة في اقسام العلوم ووصف مؤلفاتها وتراجم المؤلفين يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة طُبع منها الأوّلان في الهند بحيدراباد سنة ١٣٢٨-١٣٢٩ هـ (١٩١٠-١٩١١ م) في نحو الف صفحة بقطع ربع كبير وهو ما وقف الطابع عليه من المفتاح ولهُ جزء ثالث من نسخة رائعة في مكتبة احمد باشا تيمور من الدوحة السابعة الى آخر الكتاب وهذا حريّ بالطبع لما فيه من الآداب والعادات ولي مقالة مطولة في وصف الكتاب ومعارضاته ربما نشرتها في احدى المجلّات

بينهُ وبين الاشخاص المذكورة ويتفرغ باعتدالها وانتظامها الى كسب السعادة العاجلة أو الآجلة»

ثم قال: « ولاشهر كتب هذا العلم (كتاب بروش) . وفي هذا العلم كتب كثيرة غير هذا وستعرف الكتب الجامعة للثلاثة »

انتهى ما رايت ذكرهُ من هذا الكتاب الذي اعتمد عليه الحاج خليفة في كشف الظنون ونقل عنه التعاريف والحدود احياناً بالحرف الواحد كما ترى في علم تدبير المنزل

مؤلف الرسالة المنشورة في المشرق

لقد رأيت اسم صاحب هذه الرسالة كثير الصور والتحريف . واقدم من ذكرهُ ابن النديم في (الفهرست) صفحة ٢٦٣ بقوله :

« كتاب (روفس) في تدبير المنزل لطوسوس (١ »

هذا كل ما ذكرهُ عنهُ ولما نقل المرحوم المؤرخ جرجي زيدان كلامهُ في تاريخ دأب اللغة العربية (٢ : ٢٣٢) قال : « كتاب تدبير المنزل لبروسن (كذا) ذكرهُ صاحب الفهرست وقد ضاع » . فحرّف الاسم خطأً مطبعياً . وكأن المؤلف لم يطالع الفصلين اللذين نُشرا من هذا الكتاب في مجلة الضياء اليازجية (٢ : ١٩٩ و ٢٤٣ و٢٦٦) في البحث عن المال والخدّام فقط عدا الفصلين الباقيين اللذين نشرتهما (المشرق) مع الاوّلين (٢ فلذلك قال انه (قد ضاع)

ولقد عارضت ما نُشر في الضياء بما نُشر في المشرق فرأيت الكتاب الذي نقل

---

١) لا نعلم ما هو مستند جنابه في قولهِ انّ الكتاب المذكور في الفهرست هو الذي تولّينا نشرهُ في المشرق ولعلّه كتاب آخر باسمه مع ما في ايراد الاسم من الالتباس « كتاب روفس . . . لطوسوس ؟ » (ل . ش)

٢) لم ننبه الى ما نُقل من كتاب تدبير المنزل في الضياء في سنتها الثانية ولولا ذلك لأشرنا اليها . ومن المرجّح انّ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي اطلع على ذات النسخة التي اخذنا عنها . ولم يصرّح في الضياء عند من وجد الاصل الذي نقل عنهُ . وقد قابلنا بين ما نشرناهُ في المشرق والقسم الذي نشرهُ صاحب الضياء فرأينا فيهما فرقاً زهيداً فان الشيخ لم يُشر الى الاصل المغلوط فأصلحهُ توًّا وقد اصلحناهُ نحن بعد ذكر الرواية الاصليّة صوناً لامانة النقل . اما تقاسيم الفصول فزدناها نحن بحرف دقيق تسهيلاً لمطالعتها (ل . ش)

عنهُ الضياء اسدّ مرمى في بعض المواضع مما نقل عنه المشرق ولعلّه اقدم واضبط . على ان ما في المشرق قد يزيد فقرات لا توجد في الضياء احياناً شأن ما ينقل عن المخطوطات القديمة ولاسيما غير المتقوطة منها او التي لم تقابل على اصلها وتضبط بقراءتها على مشاهير العلماء

بقي البحث في (اسم مؤلف الرسالة) فان ما فيه من التصحيف والتحريف وكثرة الإشكال يشوش الذهن حتى ان الاسم جاء في مجلة (الضياء) هكذا (رسس) مثلاً . وفي آخر مقالة المشرق (برولس) ولعلها بروبس لان ما جاء في فهرست ابن النديم هو الاقرب الى الاصل والفيلسوف (روفس) كان من افسس مقدماً في صناعة الطب ولم يكن في الروفسيين افضل منه . وهو قبل جالينوس المشهور (فهرست ص ٢٩١) ولاخفاء بالتبادل بين الفاء والباء فيقال روفس وروبس

ولقد ترجم هذا الفيلسوف ابنُ القفطي (ص ٢٩١) وابن ابي اصيبعة (١ : ٣٣) في كتابيهما (تاريخ الحكماء والاطباء) على ان ابن ابي اصيبعة سماهُ (روفس الكبير) مما يدل على انه يوجد حكيم آخر باسم (روفس الصغير) لعلهُ هو واضع هذه الرسالة . ولقد عدّدا مؤلفاته . وذكر لهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠) (كتاب حفظ الصحة) الذي فسّرهُ حنين ابن اسحق . ولكنهما لم يصرّحا باسم هذا الكتاب كما اشتهر اسمه (تدبير المنزل) . على ان ابن ابي اصيبعة ذكر له مقالة (في تدبير الاطفال) ولعلها احدى الباحث الاربعة مفردةً او سمّى الكل باسم الجزء . وذكر له ابن النديم (كتاب التدبير مقالتان) فافرد له بعض باحث الرسالة ايضاً . اما علوسوس الذي ذكرهُ ابن النديم فما لا يُهتدى اليهِ ولعله هو الذي دعا الى هذا التحريف والتصحيف

تدبير المنزل لارسطو

هو رسالة من كتاب طوله ٢٣ س وعرضه ١٦ وكل صفحة معدّل اسطرها ١٧ في نحو ٤٠٠ صفحة مخروم من اوله واخره ولكنه قديم الخط مجلد بالخشب بقطع بع عريض خشن الورق مختلف الخط بالحبرين الاسود والاحمر اتّصل بمكتبتي . وفيه مقالات (التعليلات) للاسكندر الافروديسي . و(ثمار المسائل الطبية) لثاوفرسطس . و(مسائل ما بال) لارسطو في ٣٥ مقالة . و(ثمرة من كلام يحيى وجالينوس) في الترياق .

ومقالات أخر مختلفة المواضيع لعيسى بن ما سويه وجالينوس . وبعضها لم يُذكر مؤلفها وهي في تركيب الادوية والاغذية والحيوان والشعر والروح والنفس والعطش والروائح الخ وآخرها (في الموسيقى) لابي الفرج بن الطيب . وكلها من نوادر المواضيع الجديرة بالنشر . على ان خط الكتاب القديم كان مهلهلاً فأعجمهُ بعض مطالعيه فشوّشوا بعض الفاظه . وسأصف هذه المجموعة مع غيرها من نوادر المخطوطات التي أحرزها في مكتبتي حرصاً على فوائدها وحفظاً لها من الضياع متى سنحت لي فرصة كافية

اما مقالة تدبير المنزل فقد عُنونت هكذا: ثمار مقالة أرسطو في تدبير المنزل) وهي في نحو سبع صفحات (١ . عارضتها بمقالة (بروفس) في المشرق فرأيت فيها هذه الفروق :

معارضة الرسالتين

بدأ ارسطو رسالته في الفرق بين السياسة المنزلية والسياسة المدنية فأبدع في التفرقة بينهما ولم يقتضب الكلام اقتضاباً كما فعل (بروفس) وجعل اول حاجات المنزل المرأة فبحث عنها ثم عن الرجل وسياستها معللاً عن مبادلة التعاون مفرقاً بين الانسان والحيوان في الزواج . باحثاً عن زينتهما وانها خارجية لا تأثير فيها على الاخلاق مفضلاً هذه عليها . وتطرّف الى الخدّام وعبّر عنهم (بالعبيد) ونهى عن السماح لهم بشرب المسكرات وحضّ على تهذيبهم بالاستخدام والتأديب والإشباع واسترسل الى وصف اخلاقهم وما يجب ان يفضّل منها على غيرها

ثم استرسل الى المال وتحصيله وخزنه وإنفاقه وما شاكل ذلك مشيراً الى تربية الأسرة وما يجب فيها من الحكمة

على ان الفرق بين الرسالتين ان ارسطو ادمج كلامه بدون تبويب وبدأ في وصف تدبير المنزل وشؤون اربابه متطرقاً من موضوع الى آخر بعلاقات قادهُ اليها البحث

---

١) ولعلّ هذه الرسالة هي عين الرسالة التي اشرنا اليها في مقدّمتنا على رسالة تدبير المنزل حيث رويْنا ما نشرهُ العلّامة إجر (Egger) في مجموعة أكادمية الكتابات والفنون منسوباً الى ارسطو في تدبير المنزل فاذا نشرهُ صديقنا عيسى افندي عارضناهُ بتلك الترجمة (ل . ش)

معتمداً على فلسفة التدبير العامة معتمداً على آداب العبيد المستخدَمين مما يدل على شدَّة عناية القدماء بهم ولاسيما في عصرهِ . بخلاف تقسيم بروفس مقالته الى اربعة مباحث معنونة

وعبارة رسالة ارسطو تنمّ عن اساليب التعريب القديمة لكبار المعرّبين مع ما في الفاظها من الإشكال لإهمالها ثم إعجامها مما يحتاج الى إعمال النظر لردّه الى نصابهِ

وعلى الجملة فالرسالة جديرة بالنشر بعد تحقيق بعض الفاظها وازالة ما شوّهها من التصحيف مع كرور الايام على هذه النسخة واصطلاح الخط القديم وكثرة الايدي التي اشتغلت في الكتاب المجموعة فيه نسخاً وتنقيطاً وتشكيلاً . وسأتفرّغ لذلك عند سنوح الفرصة

ختام

ومزية المقالات جميعها انها عبّر عنها في الطب (بالعلّة) وفي غيرها (بالثمرة) فلذلك سُميت مقالات كثيرة فيه بالتعليلات واخرى بالثمار وفيها مباحث مفيدة في الطب والطبيعيّات والآداب منها في الخمر والسكر والتعب والاعياء والعُدوى التي عبّر عنها بالمشاركة في الألم وخواصّ الحيوانات والصوت والامزجة والعطش واكثرها لارسطو وغيره من كبار الفلاسفة ولعلها من تعريب ابي الفرج ابن الطيب والله اعلم

شهيدات المحبة

في ثورة فرنسة الكبرى

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ شريعة المسيح قد امتازت عن الشريعة الموسويَّة بكونها غلَّبت الفضل على العدل ورجَّحت المحبَّة على القسط والإنصاف . قال رسول الامم في رسالتهِ الى الرومانيين (١٣ : ١٠) : « انَّ المحبَّة هي الناموس بتمامهِ » وقال في الرسالة الى اهل